



Source : AN - NAHAR
Date : 20-3-97
Photo No. : 110

"هذه المرة فقط"

قبل اكثر من عشرة اعوام، وقف ادوار شيفرنادزه، وزير خارجية الاتحاد السوفياتي آنذاك، في جامعة القاهرة ليشرح، من وحي البريسترويكا، كيف مفهوم "العدو" لم يعد صالحا في الصراعات بين الدول. وقتها، اثار برس شيفرنادزه تحفظ معظم العرب الذين اطلعوا عليه. لكن مفهوم العدو انتهى بالفعل الى السقوط في العلاقات بين الجارين بعدما آلت اليه بريسترويكا من انحلال للقوة السوفياتية. ثم ما لبث ان سقط في الشرق وسط، في ما عدا المسارين السوري والبناني. الا ان شيفرنادزه لم يكن يفتي بالتاكيد ان يؤدي سقوط هذا المفهوم الى الارتجاج الذي نشهده في العلاقات بين الدول المتصارعة. كذلك، لم يكن جيمس بايكر، وزير الخارجية البريطاني الاسبق، يتخيل عندما اطلق مسيرة التسوية السلمية هذا المشهد ان ينسب اماننا اليوم.

له فعلا مشهد غريب عجيب. ليس فقط لان العرب صاروا المدافعين عن سلام، او لان اسرائيل باتت في نظر الرأي العام الغربي سبب عرقلة تيرته. وانما لان منطق التخاطب بين اسرائيل والاطراف العرب المنخرطين التسوية يمزج بين مفاهيم الصراع القديمة ومفاهيم الشراكة الجديدة. هو الملك حسين يؤنب (وليس من كلمة افضل) رئيس الوزراء بنيامين ناهو من موقع الجار الجليل والمخدول في آن معا. وها هو الرئيس بري حسني مبارك يعير ننتياهو نفسه بعدم عقلانيته. اما الرئيس الفلسطيني ياسر عرفات، فقد جعل الشكوى من تهديد ننتياهو مسيرة سلام خبزه اليومي للصحافة العالمية. لكن الانكى ان ننتياهو نفسه قبل له الوضعية وهكذا نراه يقترح على الطرف الفلسطيني ان يقبل بتمرير ما ابو غنيم للمرة الاخيرة، كمن يقول: "معلش يا جماعة. مرة واحدة وبعدما اعنكم اني سأعقل".

تطلع، ليس مستبعدا ان يلجأ نتنياهو الى هذا المنطق من اجل تغليف
الامر الواقع بلباس تفاوضي يضمن له نزع فتيل الانتفاضة التي قد
يرى اليها السلطة الوطنية الفلسطينية. لكنه بمجرد ان وضع نفسه في
الطلب على مستوى التفاوض، فيما هو في موقع الهجوم على الارض،
يؤكد انه لا يستطيع الخروج من اطار الشراكة الذي تفرضه عملية
سوية. ولا معنى تالياً لتهديده الفلسطينيين بالرجوع عن كل ما تحقق.
ليس جديدا على السياسة الاسرائيلية ان تسعى الى اكبر قدر من
كسب من دون ان تلوث صورتها الصالحة في العالم. فهذا كان سر
نقل رابين وشمعون بيريس وتلك كانت فلسفة "معسكر السلام"
اسرائيلي الذي تطلع دوما الى ان "يحب" الضحايا الفلسطينيين جلاذيتهم.
لكن نتنياهو يمتاز عن سلفيه، وعموما عن خصومه في حزب العمل، بشيء
جديد، وهو هذا التخطيط الذي حول موقع القوة الاسرائيلية الى موقع
ضعيف، وجعل مسألة تهويد القدس الذي تحظى بتأييد عارم في اسرائيل
او وكأنها نزوة شخصية يريد تمريرها بأي ثمن.
يعني تخطيط نتنياهو انه لن ينجح في "تمريرها" هذه المرة. وقد ينجح
لأف في تفادي انتفاضة فلسطينية وشيكة. لكنه سيكون دفع ثمننا باهظا
في المقاييس الاسرائيلية. فبالاضافة الى احراج اسرائيل دوليا، فانه اعاد
تجديد القضية القدس، وهي القضية التي لا يفيدتها اسرائيل الا
باعت. لكن الالم من ذلك انه جعل محاوريه العرب يستفيدون، في
التفاوض، من سقوط مفهوم "العدو"، بعد ان كانت اسرائيل اكبر
مستفيد من.

سمير قصير